

# الفصل التاسع البيات والقتال بما يعم إتلافه

1- أجازت الشريعة للمسلمين أن يغيروا على أعدائهم ليلاً إذا احتاجوا إلى ذلك، مع أن هذه الإغارة لا يتميز فيها الطفل والمرأة اللذان لا يقاتلان عن غيرهما من أهل القتال.

أ- عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَنَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بَوْدَانَ وَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يَبْتُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيَصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَدَرَارِيهِمْ قَالَ: "هُمُ مِنْهُمْ". وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ". صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>1</sup>.

قال ابن حجر رحمه الله:  
"وَمَعْنَى الْبَيَاتِ الْمُرَادِ فِي الْحَدِيثِ أَنْ يُغَارَ عَلَى الْكُفَّارِ بِاللَّيْلِ بِحَيْثُ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ أَفْرَادِهِمْ .

قَوْلُهُ : ( هُمْ مِنْهُمْ )  
أَيُّ فِي الْحُكْمِ تِلْكَ الْحَالَةَ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِبَاحَةَ قَتْلِهِمْ بِطَرِيقِ الْقَيْدِ إِلَيْهِمْ ، بَلْ الْمُرَادُ إِذَا لَمْ تُمْكِنِ الْوُصُولُ إِلَى الْآتَاءِ إِلَّا بِوَطْءِ الدَّرْتَةِ فَإِذَا أُصِيبُوا لِاخْتِلَاطِهِمْ بِهِمْ حَارَ قَتْلُهُمْ<sup>2</sup> .

قال النووي رحمه الله:

<sup>1</sup> صحيح البخاري - ( ج 10 / ص 204 ) .  
<sup>2</sup> فتح الباري لابن حجر - ( ج 9 / ص 223 و 224 ) .

"وَتَقْدِيرُهُ : سُئِلَ عَنْ حُكْمِ صَبْيَانِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَبِيئُونَ  
فِيصَابٍ مِنْ نِسَائِهِمْ وَصَبْيَانِهِمْ بِالْقَتْلِ ، فَقَالَ : هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ  
أَيُّ لَا تَأْسُ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ أَحْكَامَ آبَائِهِمْ جَارِيَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيرَاثِ  
وَفِي التَّكَاحِ وَفِي الْقِصَاصِ وَالذِّيَّاتِ وَعَيْرَ ذَلِكَ ، وَالْمُرَادُ إِذَا لَمْ  
تَبْعَمُدُوا مِنْ عَنَرِ صَرُورَةَ .

وَأَمَّا الْحَدِيثُ السَّابِقُ فِي النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ ،  
فَالْمُرَادُ بِهِ إِذَا تَمَيَّرُوا ، وَهَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي ذَكَرْتَاهُ مِنْ جَوَازِ  
بَيَاتِهِمْ وَقَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ فِي الْبَيَاتِ ، هُوَ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ  
مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالْجُمْهُورِ .

وَمَعْنَى ( الْبَيَاتِ ، وَيُبَيِّنُونَ )  
أَنْ يُعَارَ عَلَيْهِمْ بِاللَّيْلِ بِحَيْثُ لَا يُعْرِفُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ  
وَالصَّبِيِّ .  
وَأَمَّا ( الذَّرَارِيُّ )

فَيُبَيِّنُ سِدِيدِ الْبَيَاءِ وَتَخْفِيفِهَا لُغْتَانِ ، النَّشْدِيدِ أَفْصَحُ وَأَشْهَرُ ،  
وَالْمُرَادُ بِالذَّرَارِيِّ هُنَا النِّسَاءُ الصَّبِيَّانِ .

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : دَلِيلٌ لِحَوَازِ النَّسَاءِ ، وَحَوَازِ الْإِعَارَةِ عَلَى  
مَنْ تَلَعَّنَهُمُ الدَّعْوَةُ مِنْ عَنَرِ إِعْلَامِهِمْ بِذَلِكَ"<sup>1</sup> .

وقول النووي رحمه الله: " إِذَا لَمْ تَبْعَمُدُوا مِنْ عَنَرِ صَرُورَةَ " .  
يفيد جواز تبييتهم عند الضرورة .

ب- وعن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- قال:  
"كَانَ شِعَارًا لَيْلَةً بَيْنَنَا فِي هَوَازِنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ وَأَمْرُهُ  
عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِثٌ أَمِثٌ وَقَتَلْتُ بِيَدِي  
لَيْتَنِيذِ سَبْعَةَ أَهْلِ أَبِياتٍ"<sup>2</sup> .

ج- وقال الإمام الحصاصي رحمه الله:  
"وَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ :  
اغْرُ عَلَى أَبِي صَبَاحًا وَحَرِّقْ ، وَكَانَ يَأْمُرُ السَّرَايَا بِأَنْ يَنْتَطِرُوا

<sup>1</sup> شرح النووي على مسلم - ( ج 6 / ص 189 ) .

<sup>2</sup> مسند أحمد - ( ج 33 / ص 261 ) .

<sup>3</sup> أبى بضم الهمزة والقصر اسم موضع من فلسطين بين عسقلان والرملة . [عون  
المعبود ج: 7 ص: 197] .

بِمَنْ يَغْرُو بِهِمْ ، فَإِنْ أَدَّبُوا لِلصَّلَاةِ أَمْسَكُوا عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا أَدَبًا أَعَارُوا وَعَلَى ذَلِكَ مَصَى الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدُونَ .  
وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ أَعَارَ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يُصِيبَ مِنْ دَرَارِيهِمْ وَنِسَائِهِمُ الْمَحْظُورَ قَتْلُهُمْ ، فَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ مُسْلِمُونَ وَجَبَ أَنْ لَا يَمْتَعَ ذَلِكَ مِنْ شَيْءِ الْغَارَةِ عَلَيْهِمْ وَرَمِيهِمْ بِالنِّسَابِ وَغَيْرِهِ ، وَإِنْ خِيفَ عَلَيْهِ إِصَابَةُ الْمُسْلِمِ "1 .

د- وقال الإمام الكاسباني رحمه الله:

"وَلَا بَأْسَ بِالْإِعَارَةِ وَالنِّسَابِ عَلَيْهِمْ"2 .

هـ- وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله:

"فَصُلِّ : وَبَجُورٌ تَبَيُّتُ الْكُفَّارِ ، وَهُوَ كَبْسُهُمْ لَيْلًا ، وَقَتْلُهُمْ

وَهُمْ عَارُونَ .

قَالَ أَحْمَدُ : لَا بَأْسَ بِالنِّسَابِ ، وَهَلْ عَرِزُوا الرُّومَ إِلَّا النَّاسُ ،  
قَالَ : وَلَا تَعْلَمُ أَحَدًا كَرِهَ نِسَابَ الْعَدُوِّ .

وَقَرَأَ عَلَيْهِ : سُفْيَانُ ، عَنِ الرَّهْرِيِّ ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ ، عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَيْمَةَ .

قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ عَنِ

الدِّبَارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَنُيَّبَهُمْ فَنُصِيبُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَدَرَارِيهِمْ ؟

فَقَالَ : " هُمْ مِنْهُمْ " .

فَقَالَ : إِسْتَأْذُ جَيِّدٌ .

فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ تَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ

النِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ .

قُلْنَا : هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى التَّعَمُّدِ لِقَتْلِهِمْ .

قَالَ أَحْمَدُ : أَمَّا أَنْ يَتَعَمَّدَ قَتْلُهُمْ ، فَلَا "3 .

و- وقال الإمام الشيرازي رحمه الله:

"فصل: وإن نصب عليهم منجنيقاً أو بيتهم ليلاً وفيهم نساء

وأطفال: جاز لما روى علي -كرم الله وجهه- أن النبي صلى

الله عليه وسلم: (نصب المنجنيق على أهل الطائف وإن

1 أحكام القرآن لأبي بكر أحمد الرازي الجصاص : تفسير سورة الفتح - باب رمي  
المشركين مع العلم بأن فيهم أطفال المسلمين وأسراهم - ج 3 ص 395 : 396 .

2 بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - (ج 15 / ص 281) .

3 المغني - (ج 21 / ص 101) .

كانت لا تخلو من النساء والأطفال)، وروى الصعب بن جثامة، قال: سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الذراري من المشركين يبيتون؛ فيصاب من نسائهم وذراريهم؟ فقال: "هم منهم". ولأن الكفار لا يخلون من النساء والأطفال، فلو تركنا رميهم لأجل النساء والأطفال بطل الجهاد"<sup>1</sup>.

2- القتال بما يعم إتلافه:

كذلك أجازت الشريعة رمي الكفار بما يعم إتلافه من تحريق وتغريق ومنجنيق، وقد مر بنا قول ابن عابدين رحمه الله عن المنجنيق: "هي آلة ترمى بها الحجارة الكبار، قلت وقد تركت اليوم للاستغناء عنها بالمدافع الحادثة"<sup>2</sup>. أي جواز القصف المدفعي لحاجة الجهاد أو ضرورته.

وقال الأمير الصنعاني رحمه الله:  
"وَعَيْنُ مَكْحُولٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : { أَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَبُّ الْمَنْجَنِقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ } .  
أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَرَّاسِيلِ ، وَرَجَّاهُ ثِقَاتٌ ، وَوَصَلَهُ الْعُقَيْلِيُّ بِإِسْنَادٍ صَعِيفٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

.....  
وفي الحديث دليلٌ على أنه يجوز قتل الكفار إذا تحصنوا بالمنجنيق ويُقاس عليه غيره من المدافع ونحوها"<sup>3</sup>.  
وقال الشيخ حسين عمر بن محفوظ:

"ويقاس على المنجنيق غيره من الأسلحة الثقيلة كالمدافع والدبابات والهجوم بالطائرات الحربية"<sup>4</sup>.  
قال الإمام النووي رحمه الله:

"3284 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ زُمَيْحٍ قَالَا أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ تَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّقَ تَحْلَ بْنَ النَّضِيرِ

<sup>1</sup> المهذب للشيرازي ج: 2 ص: 234.

<sup>2</sup> رد المحتار على الدر المختار - حاشية ابن عابدين - ج 3 ص - 223.

<sup>3</sup> سبيل السلام - (ج 6 / ص 167).

<sup>4</sup> التأصيل الشرعي لأحداث أمريكا ص: 25. نقلاً عن منبر التوحيد والجهاد.

وَقَطَعَ وَهِيَ الْبُؤْرَةُ رَادٌ فُتَيْبَةُ وَابْنُ رُمِحٍ فِي حَدِيثِهِمَا قَاتِلَ  
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
 { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ  
 اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ }

.....  
 وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : جَوَّازَ قَطَعَ شَجَرَ الْكُفَّارِ وَإِحْرَاقَهُ ، وَبِهِ قَالَ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ وَتَافِعُ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ وَمَالِكُ وَالتَّوْرِيُّ  
 وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَالْجُمْهُورُ ، وَقَالَ أَبُو  
 بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَالثَّيْتُ بْنُ سَعْدٍ وَأَبُو تَوْرٍ وَالْأَوْزَاعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ - فِي رَوَايَةٍ عَنْهُمْ : لَا يَجُوزُ <sup>1</sup> .

وقال للإمام الكاسباني رحمه الله :

" وَلَا بَأْسَ بِقَطْعِ أَشْجَارِهِمُ الْمُؤْمِرَةِ ، وَعَبْرِ الْمُؤْمِرَةِ ،

وَإِفْسَادِ زُرُوعِهِمْ ؛ لِقَوْلِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ

لَيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ

الْفَاسِقِينَ } اذِنَّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِقَطْعِ التَّخِيلِ فِي صَدْرِ

الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَبَيِّنَةٌ فِي آخِرِهَا أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ كِتَابًا وَعَيْطًا لِلْعَدُوِّ

بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى { وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ } .

وَلَا بَأْسَ بِإِحْرَاقِ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ ، وَإِعْرَاقِهَا بِالْمَاءِ ، وَتَخْرِيبِهَا

وَهَدْمِهَا عَلَيْهِمْ ، وَتَضْيِيقِ الْمَبْحِثِيقِ عَلَيْهَا ؛ لِقَوْلِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى

{ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ } وَلَا نَّ كُلَّ ذَلِكَ

مِنْ بَابِ الْقِتَالِ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ قَهْرِ الْعَدُوِّ وَكَيْفِهِمْ وَعَيْطِهِمْ ،

وَلَا نَّ حُرْمَةَ الْأَمْوَالِ ؛ لِحُرْمَةِ أَرْهَابِهَا ، وَلَا حُرْمَةَ لَأَنْفُسِهِمْ حَتَّى

يُقْتَلُونَ ، فَكَيْفَ لِأَمْوَالِهِمْ؟ وَلَا بَأْسَ بِرَمْيِهِمْ بِالنَّيْلِ ، وَإِنْ

عَلِمُوا أَنَّ فِيهِمْ مُسْلِمِينَ مِنَ الْأَسَارِيِّ وَالنَّجَارِ لِمَا فِيهِ مِنْ

الصَّرْوَرَةِ ، إِذْ حُصُونُ الْكُفْرَةِ قَلَمَا تَخْلُو مِنْ مُسْلِمٍ أَسِيرٍ ، أَوْ

تَاجِرٍ قَاعْتَابَرُهُ بُؤْدِي إِلَى أَسْدَادِ بَابِ الْجِهَادِ ، وَلَكِنَّ يَفْصِدُونَ

بِذَلِكَ الْكُفْرَةَ دُونَ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِأَنَّهُ لَا صَرْوَرَةَ فِي الْقَصْدِ إِلَى

قَتْلِ مُسْلِمٍ بَعِيرٍ حَقٌّ .

<sup>1</sup> شرح النووي على مسلم - ( ج 6 / ص 190 )

وَكَذًا إِذَا تَتَرَّسُوا بِأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَأْسِ بِالرَّمْيِ إِلَيْهِمْ ؛  
لِضَّرُورَةِ إِقَامَةِ الْقَرْصِ ، لَكِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ الْكُفَّارَ دُونَ الْأَطْفَالِ  
، فَإِنْ رَمَوْهُمْ قَاصِبًا مُسْلِمًا فَلَا دِيَّةَ وَلَا كَفَّارَةَ"<sup>1</sup> .  
وقال أبو البركات الدريبر رحمه الله:

"قوله (بقطع ماء) عنهم أو عليهم حتى يغرقوا (وآلة) كسيف  
ورمح ومنجنيق ولو فيهم النساء والصبيان (وبنار إن لم يمكن  
غيرها) وقد خيف منهم (ولم يكن فيهم مسلم) فإن أمكن  
غيرها أو كان فيهم مسلم لم يحرقوا بها ويجوز قتلهم بها  
بالشرطين"<sup>2</sup> .

3- الخلاصة:

أباحَت الشريعة قتال الكفار بالبيات وهو الإغارة الليلية التي لا  
يتميز فيها المقاتل من غيره وبما يعم إتلافه، بما في ذلك  
القصف المدفعي، لحاجة الجهاد أو ضرورته، وأن ترك ذلك  
لأجل الخوف على من لا يحل قتله يؤدي لتعطيل الجهاد.

---

<sup>1</sup> بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - (ج 15 / ص 281 و 282).  
<sup>2</sup> الشرح الكبير للشيخ الدردير - (ج 2 / ص 177).